

أضواء البيان

@ 156 @ وأشار إلى أن تصديقه للكتب السماوية المنزلة قبله وتفصيله للعقائد والحلال والحرام ونحو ذلك . مما لا شك أنه من القرآن جل وعلا . دليل على أنه غير مفتري . وأنه لا ريب في كونه من رب العالمين ، وبين هذا في مواضع أخر كقوله : { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } . وقوله : { وَمَا تَنْزِيلُ الْكِتَابِ بِإِذْنِ رَبِّكَ لَا يَنْزِلُ إِلَّا فِي لَيْلٍ وَالْكِتَابُ مَكْشُوفٌ يُرَوَّى بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَكُلُّ شَيْءٍ يُخْفَى لَهُمْ نَدْوًا } . وقوله : { وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ } والآيات في مثل ذلك كثيرة . .

ثم إنه تعالى لما صرح هنا بأن هذا القرآن ما كان أن يفتري على الله ، أقام البرهان القاطع على أنه من الله ، فتحدى جميع الخلق بسورة واحدة مثله ، ولا شك أنه لو كان من جنس كلام الخلق لقدر الخلق على الإتيان بمثله ، فلما عجزوا عن ذلك كلهم حصل اليقين ، والعلم الضروري أنه من الله جل وعلا ، قال جل وعلا في هذه السورة : { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } وتحداهم أيضاً في سورة (البقرة) بسورة واحدة من مثله ، بقوله : { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِّثْلِهِ } : وتحداهم في (هود) بعشر سور مثله بقوله : { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ } : وتحداهم في (الطور) به كله بقوله : { فَلَا يَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ } . .

وصرح في سورة (بني إسرائيل) بعجز جميع الخلائق عن الإتيان بمثله بقوله : { قُلْ لِّلنَّاسِ اجْتِمَاعَاتُ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } كما قدمنا ، وبين أنهم لا يأتون بمثله أيضاً بقوله : { فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَٰن تَفْعَلُوا } . .

قوله تعالى : { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ } . .

التحقيق أن تأويله هنا ، هو حقيقة ما يؤول إليه الأمر يوم القيامة ، كما قدمنا في أول

(آل عمران) ، ويدل لصحة هذا قوله في (الأعراف) : { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا-
تَأْوِيلَهُ يُؤْمَرُ يَا تِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ
جَاءَتْهُمْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ } . .
ونظير الآية قوله تعالى : { بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَّسَمَّا يَذُّوقُوا
عَذَابِ } .